

أضواء البيان

@ 22 @ خَلَقَ هُنَّ - الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْإِسْ رِضَ مَهْدًا ، وقوله تعالى : { أَلَمْ نَجْعَلِ الْإِسْ رِضَ مَهْدًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا } ، وقوله تعالى : { وَالْإِسْ رِضَ فَرَشْنَا هَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ } ، وقوله تعالى : { وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْإِسْ رِضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا } والآيات بمثل ذلك كثيرة جدًا . .

وأما الثانية التي هي جعله فيها سبلاً فقد جاء الامتنان والاستدلال بها في آيات كثيرة . كقوله في (الزخرف) : { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْإِسْ رِضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ - الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْإِسْ رِضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } ، وقوله تعالى : { وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ } وقد قدمنا الآيات الدالّة على هذا في سورة (النحل) في الكلام على قوله : { وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } . .

وأما الثالثة والرابعة وهما إنزال الماء من السماء وإخراج النبات به من الأرض فقد تكرر ذكرهما في القرآن على سبيل الامتنان والاستدلال معاً . كقوله تعالى : { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْجِبُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ } . وقد قدمنا الآيات الدالة على ذلك . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا } { التفتات من الغيبة إلى التكلم بصيغة التعظيم . ونظيره في القرآن قوله تعالى في (الأنعام) : { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا } وقوله في (فاطر) : { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا } ، وقوله في (النمل) : { أَمْ مِّنْ خَلْقٍ السَّمَاوَاتِ وَالْإِسْ رِضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ } . .

وهذا الالتفات من الغيبة إلى التكلم بصيغة التعظيم في هذه الآيات كلها في إنبات النبات يدل على تعظيم شأن إنبات النبات لأنه لو لم ينزل الماء ولم ينبت شيئاً لهلك الناس جوعاً

وعطشاً . فهو يدل على عظمته جل وعلا ، وشدة احتياج الخلق إليه ولزوم طاعتهم له جل وعلا .

وقوله في هذه الآية : { أَرْزَوْا جَاءَ مِّنْ زَيِّاتٍ شَتَّىٰ } أي أصنافاً مختلفة من أنواع النبات . فالأزواج : جمع زوج ، وهو هنا الصنف من النبات ، كما قال تعالى في سورة (الحج) : { وَتَرَى الْإِسْرَءِيلَ رُضًى هَامِدَةً فَاِذْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَٰهِيمَ الْإِسْمَآءَ اِهْتَرَسْتُمْ وَرَبَّتُمْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ } أي من كل صنف حسن من أصناف النبات ، وقال تعالى في سورة (لقمان) : { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِرِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوُونَهَا وَالْأُفُقَ فِي الْإِسْرَءِيلَ رُضًى رَّوَّاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ } أي من كل نوع حسن من أنواع النبات ، وقال تعالى في سورة (يس) : { سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ